

العدد كان يجري أربع مرات في اليوم. يعلن أحد الجنود العدد بمكبر الصوت وعلى الجميع الخروج من الخيام والجلوس في الساحة الواسعة أمام القسم متربعين بصورة منتظمة وفق الأرقام التي أعطيت لهم، ويبدأ العدّ، يقول الضابط الرقم ويقول الأسير اسمه أو يقول الضابط رقم الأول الذي يجب أن يجيب بنعم ثم يبدأ الثاني بقول رقمه وهكذا، وإذا حدث أي خلل تم البدء من جديد، ساعة، ساعتان ثلاث يستمر العدد أحياناً والجمع جلوس على الأرض والبنادق من وراء الأسلاك الشائكة موجهة إليهم والجنود على أبراج الحراسة يوجهون فوهات رشاشاتهم الثقيلة نحو الجمع، وحول الجمع عشرات الجنود يحملون الهراوات.

طعام الخمسة أو السبعة لا يكفي واحداً والملابس متسخة وغير كافية، وليست مناسبة حيث إن معظمها واسعة جداً يضطر الواحد من المعتقلين إلى ربطها بقطعة من القماش كي تثبت على وسطه، والمياه قليلة وشحيحة، الحمام مرة كل أسبوع، وخلال خمس دقائق يجب أن يكون قد أنهى، المراحيض صف متجاور من الأكشاك الخشبية الصغيرة مثبتة فوق حفرة طويلة كخندق، حيث لا يوجد صرف ولا مياه.

لا زيارات أهل، ولا رسائل، و مندوبو الصليب الأحمر الذين يأتون للزيارة لا يفيدون بشيء عملي سوى كتابة التقارير عن الوضع المأساوي من الناحية الإنسانية ورفعها للجهات العليا.

بدأ الأسرى خلال الأسابيع الأولى يحاولون الانتظام وترتيب صفوفهم في محاولة لتحسين ظروف حياتهم وفرض احترامهم على السجنائين الأفظاظ. وعلى الفور ثارت مشكلة التمثيل الفصائلي حيث إن الفصائل الممثلة في منظمة التحرير فتح الجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية وغيرها من التنظيمات الأخرى اجتمعت واتفقت على عدم الإقرار بوجود تنظيمات إسلامية لا حماس ولا جهاد، وأن على الأفراد الذين يأتون للسجن العيش تحت مسؤولية أحد تنظيمات منظمة التحرير فقط، ولا يمكنهم العيش بصورة مستقلة.

أعداد الأفراد التابعين لمنظمة التحرير أكبر بكثير، وكان واضحاً أن الأمر يفرض بالقوة وأن من يرفض قد يتعرض لما يكره من العنف والإرغام. كان على القلة من الإسلاميين قبول الأمر الواقع مؤقتاً والعيش بصمت حتى حين، وكان على إبراهيم العيش وفق تلك المعادلة... ينظر إلى محمود نظرات استنكار طويلة، يبتسم محمود رافعاً كفيه مشيراً بهما وكأنه يقول: ما العمل؟ ليس لديك خيار وعليك أن تسلم بالأمر الواقع بالعيش تحت مسؤوليتي المباشرة فهز رأسه إبراهيم وكأنه يقول: مهلاً مهلاً... فإن لكل أجل كتاباً.